الفصل الثانى

دور العبادات وأثرها على الدعاة إلى الله

- أولا : دور الصلاة فى حياة شعيب عليه السلام
- ثانيا : دور الصلاة فى حياة إبراهيم عليه السلام
- ثالثا : دور الصيام فى حياة نوح عليه السلام
- رابعا : دور الصلاة فى حياة الرسول ﷺ
- خامسا : ثعلبة يتساقط على طريق الدعوة

obeikandl.com

obeikandl.com

أولا: دور الصلاة فى حياة شعيب عليه السلام

يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

[هود: ٨٤ – ٨٨]

والذى نفهمه من هذه الآيات أن قوم شعيب كانوا يرون أنه لا علاقة بين العقيدة والشريعة، ولا علاقة بين العبادة والمعاملة، فأنكروا على شعيب ربط الأخلاق بالعقيدة والعبادة، وكأنهم أرادوا أن يقولوا له ما يقوله كثير من المسلمين اليوم من أنه لا علاقة البتة بين العبادة والمعاملة.

والذى يتدبر هذه الآيات يجد أن صلاة شعيب عليه السلام كانت وراء صموده أمام قومه وثباته على دعوته، فكانت العمل البارز فى حياته، والمعلم الواضح فى دعوته، ومصدر الزاد الذى يتزود منه، حتى أنهم يُرجعون طلب شعيب لهم بإيفاء الكيل والميزان وعدم بخس الناس أشياءهم إلى الصلاة، فيقولون له: أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء؟!

يقول القرطبى – رحمه الله –: «ورُوى أن شعيبًا عليه السلام كان كثير الصلاة، مواظبًا على العبادة فرضها ونفلها. ويقول: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلما أمرهم ونهاهم عيروه بما رأوه يستمر عليه من كثرة الصلاة

واستهزؤوا به فقالوا له ما أخبر الله عنهم» والداعية الذى لا يكون لسانَ صدقٍ لدعوته يسئ إليها بانحرافه عن أهدافها ومنهاجها، فالناس – غالبًا – لا يفرقون بين الدعوة والداعية، فتراهم ينفرون من الدعوة إذا رأوا انحرافًا فى الداعية، فترى شعيبًا يقول: (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) فهو لا يأمرهم بالعزائم ويترخص لنفسه، ولا يحرم عليهم المكروهات ويبيح لنفسه الموبقات كما يفعل بعض الذين يتصدون للدعوة اليوم.

ويلقن شعيبُ الدعاةَ درسًا عظيمًا وهو أن التزام الداعية بما يدعو الناس إليه هو بداية الإصلاح، فكيف يطمع الداعية فى الإصلاح وهو لم يبدأ بنفسه ليجعل عمله وحده هو الذى يتكلم؟ فكيف يريد الداعية أن يصلح غيره وهو عاجز عن إصلاح نفسه؟!!

ولله در من قال: «عليكم أنفسكم فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر، وإن عجزتم كنتم على غيرها أعجز».

لقد انتشر الإسلام فى كثير من بلاد العالم بالقدوة الحسنة حينما رأى الناس فى دعاة الإسلام ما لم يجدوه فى غيرهم.

ألا إن الدعوة الإسلامية اليوم تحتاج إلى من يكون لسانَ صدقٍ لها يعبر عنها بسلوكه وأخلاقه ومعاملاته لا بمجرد الكلام والشعارات.

* * *

obeikandi.com

ثانيا : دور الصلاة فى حياة إبراهيم عليه السلام

● **إبراهيم وسارة على أرض مصر :**

وصل إبراهيم – عليه السلام – إلى مصر وكان بها جبارٌ من الجبابرة فأرسل إلى سارة. فإذا بإبراهيم – عليه السلام – يتوجه إلى الله بالصلاة والدعاء: فهذا ما فعله – عليه السلام – لأن الله هو المرتجى، وهو الحافظ لعباده وأوليائه وهو الذى يكشف الضر ويدفع البلاء، فاستجاب الله دعاء إبراهيم – عليه السلام – ورد كيد الفاجر فى نحره وحمى عرض رسوله إبراهيم عليه السلام.

ألا ما أحوج الدعاة إلى الله عز وجل إلى الصلاة لتكون ملاذهم الذى يلوذون به، ليطلبوا من الله معيته ونُصْرَته، ألا ما أغيرَ الله على أعراض دعاته إذا أخلصوا فى توجههم إليه وإذا ضحوا فى سبيل دعوتهم.

● **إبراهيم – عليه السلام – وهاجر وإسماعيل بجوار البيت الحرام :**

أمر الله عز وجل إبراهيم أن يذهب بإسماعيل وأمه هاجر إلى مكة ويتركهما بجوار البيت الحرام.

● **إبراهيم – عليه السلام – يتوجه إلى الله بالدعاء :**

بعد أن ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه – بأمر من الله – توجه إلى الله بالدعاء.

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وكان إبراهيم – عليه السلام – ما جاء بابنه وزوجه إلى هذا المكان إلا ليقيموا الصلاة، فإذا كانت ذريته تقيم الصلاة وعلى صلةٍ دائمةٍ بالله فإنها تكون فى حفظ الله ورعايته فإن غاب الأب فالله موجود.

فهل تحقق طلبُ إبراهيم؟

نعم تحقق! .. لقد ربت هاجر إسماعيل على طاعة الله عز وجل ... فقد ربته على إقام الصلاة وعلى الصدق ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥].

ألا ما أحوج الدعاة إلى الله عز وجل إلى الثقة بموعود الله تعالى، فاستسلام إبراهيم - عليه السلام - الاستسلام المطلق لأمر الله عز وجل، وثقته بأن الله لن يضيع ابنه وزوجه لهى الزاد للتغلب الكامل والاجتياز الكامل للمنعطف الخطير الذى يتساقط عنده الكثير من الدعاة، ألا وهو منعطف الزوجة والولد اللذان يكونان بمنزلة القيد الذى يربط الدعاة فلا يجعلهم ينطلقون متحررين من العلائق.

وما أحوجهم كذلك إلى الزوجة التى ترعى أولادهم وتُحسنُ تربيتهم، ليكونوا أنصاراً لدعوة الله عز وجل بدلاً من أن يكونوا عوائق لآبائهم، وتاريخ الدعوة يشهد بأنه ما ترك الداعية ولده وزوجه لله إلا حفظه الله فى دعوته وفى ولده وزوجته، والكثير من الدعاة الذين قضوا نحبهم كان الله عز وجل هو الخليفة فى أولادهم فحملوا مشاعل النور وكانوا على الدرب نفسه الذى سار عليه آباؤهم وإن لم يرهم آباؤهم فعناية الله تعالى كانت تتعهدهم وترعاهم.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

* * *

ثالثا : دور الصيام فى حياة نوح
- عليه السلام -

رُوى عن رسول الله - ﷺ - : «صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحى، وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر» (١).

يحتاج الدعاة إلى الله تعالى إلى الإرادة القوية والعزيمة التى لا تلين كما يحتاجون إلى ما يجعلهم يستعلون على ضرورات الحياة ورغبات النفس وشهواتها، يحتاجون إلى ما يجعلهم يجتازون المنعطفات التى تعرض لهم على طريق الدعوة، فلا بد من إعداد النفوس التى تجتاز عقبات الطريق، والصيام خير معين للداعية إلى الله تعالى.

* * *

---

(١) رواه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو.

obeikandl.com

رابعا : دور الصلاة فى حياة الرسول ﷺ وفى حياة أصحابه رضوان الله عليهم

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾

[المزمل : ١ – ٥]

فالله عز وجل أعد مهمة عظيمة ليقوم بها محمد – ﷺ – وهذه المهمة الكبرى ليقوم بها فلابد وأن يكون قد أُعِد لها الإعدادَ الكامل. وخير إعدادٍ للداعيةِ هو الإعدادُ الإيمانى، والزادُ الروحى، وقوةُ النفس، وخيرُ وسيلة لذلك كله الصلاة والتبتل والتضرع إلى الله – عز وجل – لطلب العون منه – عز وجل – على أداء التكاليف، ومن ثم افترض الله – عز وجل – على الرسول والمسلمين فى البداية قيام الليل وظل الوضع هكذا عامًا كاملاً، ثم نُسخ فى حق الصحابة وبقى الحكمُ بالوجوب فى حق الرسول – ﷺ –، ولكن بعد أخذ الصحابة قسطًا وفيراً من التربية، فلما ذاقوا حلاوة قيام الليل ما تركوه، وإن صار فى حقهم مندوبًا لا واجبا، إلا أن النفس إذا عشقت طاعةً وتذوقت حلاوتها وجدت سعادتها فى ممارستها.

يقول صاحب الظلال – رحمه الله – : « وإن قيام الليل والناس نيام والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها والاتصال بالله وتلقى فيضه ونوره والأنس بالوحدة والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن وكأنما هو يتنزل من الملأ الأعلى، وتتجاوب به أرجاء الوجود فى لحظة الترتيل بلا لفظ بشرى، ولا عبارةٍ واستقبال إشعاعاته وإيحاءاته وإيقاعاته فى الليل الساجى، إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذى ينتظر الرسول، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة فى كل جيل وينير القلب فى الطريق الشاق الطويل ويعصمه من وسوسة الشيطان ومن التيه فى الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير » .

وفى الحديث «كان النبى - ﷺ - يصلى حتى تَرِمَ - أو تنتفخ - قدماهُ فيقالُ له فيقول أفلا أكون عبداً شكوراً» (١).

● **أبو عبيدة يوصى قبل موته:**

«بينما أبو عبيدة بن الجراح فى بلاد الشام يقود جيوش المسلمين من نصر إلى نصر حتى فتح الله على يديه بلاد الشام وعند ذلك دهم بلاد الشام طاعون ما عرف الناس مثله فأرسل عمر - رضى الله عنه - رسالة ليستقدمه إليه، فلما أخذ أبو عبيدة الر سالة قال: قد علمت حاجة أمير المؤمنين إلىَّ فهو يريد أن يستبقى من ليس بباقٍ ثم كتب إليه يقول: يا أمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلىَّ وإنى فى جندٍ من المسلمين ولا أجد بنفسى رغبة عن الذى يصيبهم ولا أريد فراقهم حتى يقضى الله أمره. فإذا أتاك كتابى هذا فحللنى من عزمك وائذن لى بالبقاء.

فلما قرأ عمر الكتاب بكى حتى فاضت عيناه فقال له من عنده: أمات أبو عبيدة يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا . . ! ولكن الموت منه قريب.

فما لبث أبو عبيدة أن أصيب بالطاعون فلما حضرته الوفاة أوصى جنده فقال: إنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا، وحجوا، واعتمروا، وتواصوا، وانصحوا لأمرائكم، ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا، فإن المرء لو عمر ألف حول ما كان له بدٌّ من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون والسلام عليكم ورحمة الله ثم التفت إلى معاذ بن جبل وقال: يا معاذ صل بالناس» (٢).

ومن هذا نرى ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من تعظيم لشعائر الله فها هو أبو عبيدة - رضى الله عنه - فى لحظاته الأخيرة يوصى بالصلاة

---

(١) رواه البخارى من حديث المغيرة بن شعبة.

(٢) من كتاب (صور من حياة الصحابة) بتصرف يسير.

والصيام والتصدق والحج والعمرة والنصيحة وقبل أن يموت يأمر معاذًا بأن يصلى بالناس. ونشاط الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – فى ممارسة العبادات هو سرُ مواصلتهم للسير فى الطريق دون فتور ولا كللٍ ولا مللٍ.

وبعض الأفراد السالكين طريق الدعوة إلى الله عز وجل يقطعون شوطًا فى الطريق ثم تجد عزيمتهم قد وهنت ونشاطهم قد تضاءل، وحماستهم قد انطفأت، فربما لم يقوموا بأعمالهم الدعوية، أو يقومون بها بصورة شكلية فقط، وبرتابةٍ الذى يُؤدى عملاً ثقيلاً عليه بعد أن كان يؤديه بحبٍ واشتياقٍ وحماسةٍ.

وفى الحقيقة إذا تتبعت أحوالهم تجد أن أكثرهم لا يَصلون إلى هذه المرحلة إلا بعد أن يهملوا فى أداء العبادات، لأن مردود العبادات يعود على الدعوة، فإذا كان المردود صفرًا فماذا يرجع على الدعوة؟!

فالكثير من العاملين فى حقل الدعوة لا يحافظ على الصلوات الخمس فى جماعة – فضلاً عن ترك قيام الليل – وأما عن الصيام فلا صيام غير الفريضة، وعن التصدق والإنفاق فهما ليسا أحسنَ حظًا من الصلاة والصيام، ناهيك عن الإهمال فى الورد القرآنى والأذكار وغيرها.

فإذا كان الفرد قد وصل إلى هذا المستوى فماذا ينتظر منه دعويًا؟!

وقف أبو الدرداء – رضى الله عنه – ذات يوم أمام الكعبة فقال: أليس إذا أراد أحدكم سفرًا أن يجعل له زادًا؟ قالوا: بلى ... يا أبا الدرداء.

قال فسفر الآخرة أطول .. ثم قال لهم: صلوا ركعتين بالليل لظلمة القبور، وصوموا يومًا شديدًا حره لطول يوم النشور، وحجوا حجةً لعظائمِ الأمور.

* * *

خامسًا : ثعلبة يتساقط على طريق الدعوة

أخى المسلم أسوق لك نموذجًا للذين يتساقطون على طريق الدعوة نسأل الله الثبات على الحق – ليتبين لنا كيف أن الإهمال فى أداء العبادات من صلاة وزكاة وغيرها يكون مؤشراً يُؤذِنُ بالخطر.

والفرد فى حقل الدعوة الإسلامية إذا كان غير منضبط تعبديًا؛ فلن يكون منضبطًا دعويًا. فهل ينتظر من الفرد الذى لا يؤدى الصلوات فى أوقاتها أن يؤدى واجباته الدعوية فى مواعيدها؟!.

حمامة المسجد: كان ثعلبة بن أبى حاطب ملازمًا مسجد رسول الله – ﷺ – حتى لُقِّبَ بحمامة المسجد.

منعطف المال: روى البغوى عن أبى أمامة الباهلى – رضى الله عنه – قال: جاء ثعلبة بن أبى حاطب الأنصارى النبى – ﷺ – فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالاً.

فقال رسول الله – ﷺ – ويحك يا ثعلبة! قليل تؤدى شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا.

فقال – ﷺ –: أما لك فىَّ أسوةٌ حسنةٌ؟! والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبًا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك، فقال: يا رسول الله: ادع الله يرزقنى مالاً والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالاً لأُعطين كل ذى حق حقه.

فقال – ﷺ –: اللهم ارزق ثعلبة مالاً.

قال: فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فكان يصلى مع الرسول – ﷺ – الظهر والعصر، ويصلى فى غنماته سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة.

فكان إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الركبان يسألهم عن الأخبار؟ فذكره

رسول الله – ﷺ – ذات يوم فقال: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها وادٍ، فقال – ﷺ –: يا ويح ثعلبة .. يا ويح ثعلبة.

● **نزول آيات الزكاة:**

فأنزل الله آية الزكاة: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٠٣].

فبعث رسول الله – ﷺ – رجلاً من بنى سُليم ورجلاً من بنى جهينة، وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذانها، وقال لهما: مُرَّا على ثعلبة بن أبى حاطب، ومُرَّا على رجل من بنى سُليم فخذا صدقاتهما.

فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله – ﷺ – فقال: ما هذه إلا جزية أو أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم عُودا إلىَّ، فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها، فلما رأياه قالا: ما هذه عليك.

قال: خذاه فإن نفسى بذلك طيبة.

فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أرونى كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية.

اذهبا حتى أرى رأيى.

قال: فأقبلا فلما رآهما رسول الله – ﷺ – قال – قبل أن يتكلما –: يا ويح ثعلبة ... يا ويح ثعلبة .. ثم دعا للسلمى بخير فأخبراه بالذى صنع ثعلبة فأنزل الله فى حقه: ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [التوبة: ٧٥ – ٧٧].

ومن ذلك نرى أن تساقط ثعلبة بدأ بإهماله الصلاة وانشغاله عنها ثم انتهى بمنعه الزكاة.